دراسة لعلم الطبيعة وعلم الإنسان
-الخصوصيات والتشابهات-

أ/ دريدش حلمي
أستاذ محاضر
جامعة التكوين المتواصل

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أن لكل من الطبيعة والإنسان خصوصياته، خاصة إذا تحول كل واحد منهما إلى موضوع للدراسة، فلكل منهما موضوع ومنهاج ومجال خاص به وإن تشابها في مرحلة ما. العلم سيبقى يتغذى من مجالين دراسيين كبيرين هما الطبيعة والإنسان. ففي علوم الطبيعة فإن الموضوع المطلوب دراسته هو موضوع مادي، أما في العلوم الإنسانية فإن الموضوع المطلوب دراسته هو من نفس طبيعة الملاحظ، حيث لا يستطيع الباحث في هذا المجال السيطرة على موضوع البحث سيطرة مطلقة كما هو الشأن في العلوم الطبيعية. فدراسة الإنسان فيها تعقيدات كبيرة جدا.

Résumé:

Cette étude vise à démontrer que la science restera flux à partir de deux semestres deux grands domaines de la nature et de l'être humain. Dans les sciences naturelles, l'objet d'étude est l'objet matériel, de Quelle est devenu plus facile y compris les expériences de régénération, ainsi que l'accès à des lois générales sur la base des théories. En sciences humaines, le sujet à l'étude est de même nature comme l'observateur, où le chercheur ne peut pas contrôler dans ce domaine le contrôle absolu, comme le cas dans les sciences naturelles. L'étude de la complexité humaine est très importante.

مقدمة:

مشكل غياب التأطير النخبوي في الدول العربية يعود جزء منه إلى التجاهل الذي تمارسه الجامعة والنظام التعليمي عموما تجاه العلوم الإنسانية بوصفها علوما تبيع الكلام ولا تنتج، أو علوما من الدرجة الثانية، حيث انخرطت دول العالم الثالث على امتداد سنوات في تكريس الاهتمام بما يعرف بعلوم الطبيعة مثل الطب والصيدلة أو تلك العلوم التي كان يعول عليها لبناء المصانع واستيراد مظاهر الحضارة، بينما تم وعلى امتداد سنوات أيضا إهمال بناء الإنسان الذي هو الحجر الأساسي لأي بناء حضاري. إذ يتم توجيه الطلبة النجباء إلى الفروع العلمية بينما يوجه الطلبة الفاشلون دراسيا أو أصحاب المعدلات الضعيفة إلى التخصصات الإنسانية. "إننا ننفق أموالا باهظة في المجالات العسكرية أو من أجل الغوص في أسرار المادة، لكننا لا نكاد ننفق شيئا يذكر، نسبيا، من أجل معرفة حياتنا الاجتماعية". (marc guillaume)

يعود الإهمال الذي مورس لعقود تجاه العلوم الإنسانية، إلى أن أصحاب القرار يقررون بأنفسهم ووحدهم ولا يعمدون إلى الاعتماد على ما تنتجه الجامعة أو المختصون، ما جعل هذه العلوم (الإنسانية) ديكورا تعليميا تقوم من خلاله الجامعة بوظيفة التلقين والتعليم في هذه المجالات بدل دور الباحث ومساءلة الواقع، حيث لم يحدث في الجزائر مثلا أن انخرطت مراكز وفرق البحث مع الأحداث والظواهر التي ينتجها المجتمع، حيث لم تستقطب ظاهرة الانتخابات ولا الانتحار ولا "الحرقة" أنظار الباحثين إلي يومنا على الأقل.

موضوع علوم الطبيعة وعلم الإنسان:

فعلا، يمكن القول بصفة عامة، إن العلم هو في الأساس موجه إلى دراسة الطبيعة. ويشتمل هذا المصطلح على العالم الفيزيقي وكذلك عالم الأحياء. وبكلمات أخرى، فإن كل ما هو موجود أو منتج دون تدخل من طرف الإنسان يمثل ما نسميه بالطبيعة، أما الفروع الخاصة مثل الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، فقد وضعت أصلا لدراسة هذه الطبيعة. وسواء سميت بالعلوم الطبيعية أم الصحيحة أم الدقيقة، أم مجرد علوم فإنها حاليا تسمى بعلوم الطبيعة◆. هناك فروع أخرى متصلة بها مثل الفلك والجيولوجيا وأخرى جديدة تكونت عن

◆ **علوم الطبيعة:** علوم تتخذ من المجالات الفيزيقية والحيوية موضوعا للدراسة.

طريق ما يسمى بالتوأمة مثل الفيزياء الفلكية والكيمياء العضوية. لقد مثلت علوم الطبيعة طريقة عمل يحتذى بها، لم تفتأ تتطور وتنمو بشكل معتبر إلى يومنا هذا[1].

من جهته، يعتبر الإنسان موضوع دراسة لها خصائصها ومميزاتها العلمية، والهدف من مثل هذه الدراسات التي تجري في مختلف فروع العلوم الإنسانية**، هو معرفة وفهم الإنسان ومعنى أو دلالة أفعاله. تشتمل هذه العلوم التي كانت تسمى في السابق بعلوم الإنسان، ثم لاحقا بالعلوم الاجتماعية***، خاصة في العالم الأنجلوسكسوني، على فروع عديدة تقوم بدراسة الإنسان من جوانب متعددة.. ففي علم النفس، مثلا، فإن التركيز يكون بصفة خاصة على الظواهر النفسية، أما في علم الاجتماع فإننا سنبحث خاصة عن تفسير الظواهر الاجتماعية؛ أما في التاريخ فإننا سنقوم بدراسة الأحداث والوقائع الماضية؛ أما العلاقات السياسية والاقتصادية والإدارية فإنها ستكون موضوع اهتمام فروع علم السياسة وعلم الاقتصاد والإدارة.

فظاهرة الجريمة على سبيل المثال، فيمكن أن تدرس الجريمة من زاوية علم النفس (شخصية المجرمين) أو من زاوية اقتصادية (تكاليف الاعتقال) أو من زاوية سياسية (السياسات العقابية) أو من زاوية سوسيولوجية (الوظيفة الاجتماعية للاعتقال) أو من زاوية تاريخية (تطور العقوبات) أو من زاوية إدارية (تنظيم السجون) أو من زاوية دينية (تدنيس المقدسات) أو من زاوية أنثروبولوجية (التدابير العقابية لدى بعض الجماعات). إن هذا التفرع

---

[1] موريس أنجرس: **منهجية البحث في العلوم الإنسانية** – تدريبات علمية- ، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرين، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص58.

** **فروع العلوم الإنسانية:** إن أية محاولة لوضع قائمة تامة وصادقة لكل الفروع التي يمكن إدراجها تحت اسم العلوم الإنسانية، ربما ستكون عملية متهورة. فضلا عن ذلك لا يوجد (حسب علمي) تعريف واضح ومقبول للفروع التي يحتوي عليها قطاع العلوم الاجتماعية. ويمكننا في نفس الوقت الاحتراس من أن كل مواضيع الدراسة الخاصة بالكائن البشري والتي يتم تناولها بكيفية علمية، هي بالضرورة فروعا للعلوم الإنسانية. وهكذا يمكن الإقرار أنها تضم، الأنثروبولوجيا، علم الإجرام، الديموغرافيا، الاقتصاد، الإثنولوجيا، الجغرافيا، التاريخ، الحضارات القديمة، علم النفس، علم النفس الاجتماعي، الإبداع الفني، العلاقات الصناعية، علم السياسية، العلوم الإدارية، علوم اللغة، العلوم القانونية وعلم الاجتماع.

*** **العلوم الاجتماعية:** علوم تتخذ من الكائن البشري وما تعلق به موضوعا للدراسة.

والتفتح الكبير الذي أظهره الباحثون في العلوم الانسانية جعلهم واعين أن الانقسام بين فروع هذه العلوم أصبح أمرا مقلقا(2).

إن مجال العلوم الإنسانية، أي حقل التقصي الخاص به، واسع جدا. إنه الكائن البشري في علاقته بنفسه، وبأشباهه. بقدر ما يتيح هذا الحقل دراسة الشخصية فهو أيضا يمتد إلى دراسة العلاقات العالمية، مرورا بالعلاقات بين اثنين إلى غاية معرفة مجتمعه. فالكائن البشري يُنظر إليه من ثلاث وجهات نظر مختلفة؛ الفرد، تطوره وسلوكه، المجتمع، بنياته وسيره، العالم والظواهر الدولية(3).

قد تدرس مشكلة بحث* في العلوم الإنسانية من طرف فروع وتخصصات مختلفة. فلما تؤسس الحكومة لجنة تحقيق، مثلا، فغالبا ما تريد من وراء ذلك الحصول إلى وجهة نظر المتخصصين في مجالات عديدة. إن كل تخصص سيساهم بتوضيحه الخاص للمشكلة، وإن الدراسة واسعة المجال تتطلب، في حدود الإمكان، أن ينظر إلى المشكل من كل زواياه.

إن المتصفح لمجرى تاريخ العلوم الإنسانية، كثيرا ما يلاحظ أن موضوعا ما يمكن أن يكون هدفا لبحث مرة في هذا الفرع ومرة في الفرع الآخر، ومرة أخرى موضوعا لعدة فروع في نفس الوقت. يبقى أن نشير أن في ميدان العلوم الانسانية فإن "القيم تتحكم في البحث العلمي"(4)، بصفة عامة فإننا نهتم بهذا الموضوع أكثر من الآخر لما يحمله من معان تتصل بشخصيتنا أو عقيدتنا أو قيمنا... أو بالمجتمع الذي نعيش فيه.

مناهجها:

إن علوم الطبيعة هي أصل المنهج التجريبي الذي يحمل بصماتها. ولمدة طويلة لم يستخدم هذا المنهج إلاّ لأهداف مادية، لأن الاعتقاد الذي كان سائدا هو أن هذا المنهج غير صالح للاهتمام بالإنسان. لكن، وبفضل الطب في العلوم المرتبطة بهذا التخصص، بدأ المنهج التجريبي يمتد تدريجيا إلى دراسة الأحياء ثم إلى دراسة الانسان بصفة خاصة. بعد

(2) COHEN Yolande, Une perplexité de mise: "Situation de la recherche 1962-1984(II)," Recherches sociographiques, Vol, XXVI, n° 3, 1985, P 521.

(3) UNIVERSITE Harvard, "Rapport de L'université Harvard sur le Tronc commun" (traduction du MEQ), The chronicle of Hogher Education, 1987, P34.

* **مشكلة بحث:** عرض هدف البحث في شكل سؤال يتضمن إمكانية التقصي بهدف إيجاد إجابة.

(4) GINGRAS François Pierre, **Sociologie de la connaissance" Dans Recherche sociale**, 2ed, 1992, P30.

الفيزيولوجي (1813-1878) Claude Bernard، الذي قام بصياغة القواعد الأساسية في كتابه مقدمة لدراسة الطب التجريبي وسع علم النفس، بالاشتراك مع الفيزيولوجيا وسيلة التقصي هذه. هكذا ظهر إلى الوجود أول مخبر علمي في علم النفس في ألمانيا سنة 1879.

ثم جاءت بعد ذلك أعمال الفيزيولوجي الروسي Ivan P.Pvlov (1849-1936) التي كرست المنهج التجريبي وثبتته في دراسة الكائنات الحية بهدف تغيير سلوكياتها. منذ ذلك الحين بدأ يؤذن أو يُسمح بالتجربة على الإنسان ولكن بتوفر بعض الشروط المعينة؛ واستمرت البحوث في هذا الميدان منذ ذلك الحين معتمدة على هذا المنهج.

لكي نفهم طريقة عمل علوم الطبيعة فهما جيدا لا بد أن نضع في أذهاننا أنها تتعامل مع الأشياء المادية؛ فهي تحاول اكتشاف العلاقات بين الظواهر أو الأشياء المادية. ولملاحظة هذه الظواهر أو الأشياء بكيفية جيدة تستعمل هذه العلوم أدوات متطورة إلى حد كبير. إن بعض هذه الأدوات مثل المجهر يساعد في بسط معاني هذه الأشياء ومكوناتها، وتمكن الملاحظ من رؤية أدق حتى لأصغر الأجسام التي تتركب منها، والتي يستحيل علينا رؤيتها بالعين المجردة. كما يسمح لنا جهاز الأديومتر (audiomètre) بقياس الأصوات التي يتعذر علينا سماعها في الحالات العادية.

إن هذه الأدوات والأجهزة الخاصة سمحت لعلوم الطبيعة بتنمية تجاربها وتطويرها وذلك بالعودة الدائمة إلى التجربة•. بعبارة أخرى، فإننا نثير موضوعا أو ظاهرة بهدف دراستها (أو إعادة دراستها) بالرجوع عموما إلى المخبر•• الذي يمكننا من خلق شروط هذه الظاهرة ومعالجة عناصرها. هكذا تصبح المادة والأداة والتجربة عناصر يتغذى منها نموذج البحث في علوم الطبيعية، هذا الأخير يوفر الشروط المثالية لتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلي ذلك.[5]

إن العلوم الإنسانية لها هي الأخرى طريقة عملها؛ ولفهمها لا بد أن نضع في أذهاننا أننا بصدد دراسة كائنات بشرية. إن القضية هنا تختلف عما هي عليه في علوم الطبيعة، ذلك أننا هنا نتعامل مع كائن يتحدث، يتجاوب ويتفاعل مع أمثاله ويمتلك وعيا ومقدرة على التعلم والفهم. لهذا فالتعامل مع "الموضوع" هنا ينبغي أن يكون مصحوبا بحذر وعناية كبيرين.

• **التجربة:** فعل إثارة ظاهرة بهدف دراستها.

•• **المخبر:** محل مخصص ومجهز بهدف إجراء تجارب علمية.

[5] **موريس أنجرس**: المرجع السابق، ص 59.

قبل الشروع في دراسة هذا الكائن البشري، مثلا، لا بد من طلب إذنه، حيث يمكن أن يعارض ذلك أو يقبله، دون أن يوافق ما يقال حوله، إن الأخلاقيات واحترام حقوق الأشخاص تتطلب رضا الشخص بالمشاركة في التجربة ولا تسمح بإجراء أية تجربة كانت إن لم يوافقوا عليها. وكذلك، فإن استعمال أدوات البحث لا يتم عادة إلا بموافقة الأشخاص موضوع الدراسة. إن هذا الاستعمال لأدوات البحث (instrumentation)، يمكن أن يأخذ أشكالا خاصة، ومنها إمكانية استجواب هذا الموضوع وهو الكائن البشري. وأخيرا، فإن تعقد بعض الظواهر الإنسانية لا يمكن إرجاعه إلى العلاقة البسيطة الرابطة بين السبب وأثره.

إن العلوم الإنسانية ليست تقليدا أعمى لعلوم الطبيعة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار مميزات مواضيع كل منهما، حتى وإن كانت مجالات النشاط محددة في إطار علمي. ومع ذلك، فلا يوجد تعارض في الطريقة العلمية المتبعة في كلتا الحالتين ما عدا بعض الفروق التي لا مفر منها أثناء المعالجة الفعلية اعتبارا لخصوصيات كل موضوع.[6]

خصائصها:

لكي نتعرف أكثر على الخصائص المميزة بين علوم الطبيعة والعلوم الإنسانية، لا بد من اختبار خصائص موضوعيهما بحذر شديد. أول هذه الخصائص هي أن الكائن البشري يشعر بوجوده؛ في حين يظهر أن الموضوع (أو الكائن) المادي لا يدرك ولا يشعر بوجوده الخاص. زيادة على ذلك فإن الكائن البشري لا يستسلم بالضرورة لمن يقوم بدراسته، إنه يقوم بتعديل الوضع من تلقاء نفسه أثناء الدراسة. فلا نستطيع الجزم مثلا أن الباحث في مجال العلوم الإنسانية في مأمن من احتمال تزييف المعطيات التي تحصّل عليها من مقابلته لمجموعة*** من المبحوثين، من طرفه هو ذاته إذا لم يتفطن لذلك. فعلا فقد يمنح معنى شخصيا لما يقال له ويمارس أمامه[7]. هكذا فعوض أن يسجل الباحث ما يقوله المبحوث مباشرة، فسيفكر في أن هذا الأخير، بدلا من ذلك، إنما أراد قول كذا أو كذا.

يلي ذلك أن الكائن البشري يعطي معنى لما يحيط به، وبكلمات أخرى إنه يؤول وجوده؛ إلا أنه من غير المعقول أن يكون الأمر كذلك فيما يخص الكائن المادي أو الطبيعي. فمثلا

---

(6) نفس المرجع، ص 60.

*** **مقابلة المجموعة:** مقابلة بحث لمعرفة ردود أفعال مجموعة معينة من الأفراد الذين يشتركون في شيء ما.

(7) MUCCHIELLI Roger, **L'entretien de face à face dans la relation d'aide**, Paris, les Editions sociales françaises, 1969, P13.

ليس في مقدور حجر كبير أن يقاوم التحليل الذي نجريه عليه، أما الشخص فيمكنه أن يعارض التأويل الذي يقدمه طرف آخر حول أفعاله وسلوكياته[8].

يضاف إلى هذا، وخلافا لممارس علوم الطبيعة، فإن الباحث في العلوم الإنسانية، هو من نفس طبيعة الموضوع المدروس (المبحوث). ولهذا ينبغي علينا مضاعفة الحذر حول ما نقدمه أو نذكر به حول تجربتنا الشخصية ذلك لأنها ليست بالضرورة هي نفس تجربة الآخرين. ولهذا ينبغي علينا أيضا تجنب منح الآخرين دوافعنا وحوافزنا الخاصة[9].

يضاف إلى ذلك أن الأشخاص أو الجماعات، ليسوا صورا يطابق كل منها الأخرى، فكل شخص هو عبارة عن مركز لتجارب أصلية، يجعله في النهاية فريدا من نوعه. باختصار، هناك مجموعة من العوامل التي يمكن أن تتدخل في سلوك كل شخص وتصرفه، وهذا ما يجعل من مهمة مراقبة هذه العوامل مهمة صعبة للغاية. هذا يجعل الملاحظة، في هذه الحالة، أمرا معقدا منه لو تعلق الأمر بدراسة حيوانات من نفس الفصيلة أو دراسة عينتين من نفس المعدن.

إن حقل علوم الطبيعة يسمح بإعادة إنتاج وتكرار التجربة كلما دعت الضرورة إلى ذلك لأن مكونات الموضوع ستظل هي عينها فإن الأمر بالنسبة إلى الحالة الأولى (ميدان العلوم الإنسانية) يختلف تماما، ذلك لأن التجربة المخبرية في هذا الميدان مازال استعمالها محدودا للغاية. ولكي تبقى متطابقة فإن الوضعيات والمواضيع تتطلب سلسلة من المحاذير والشروط التي لا يمكننا المحافظة عليها دائما وبسهولة. وقد يكون هدفنا هو دراسة بعض السلوكيات المحددة فقط، ولا تقبل بذلك إلا بعض العناصر وعن طواعية. لهذا لا يمكن إعادة إنتاج عن طواعية وضعيات تمت دراستها، واعتبار ذلك كما لو أننا اشتغلنا حول مواضيع فيزيقية[10].

بعبارة أخرى، فإن العالم المادي أكثر بساطة من العالم الإنساني. فالعالم الفيزيقي لا يمكنه إنتاج نفسه ولا إعادة إنتاجها. أما العالم الحي، فيمكنه ذلك، ولكن بدرجة أقل تعقيدا من الكائن البشري. لهذا، فموضوع العلوم الإنسانية هو أكثر تعقيدا من موضوع علوم الطبيعة، حتى لو كنا في هذا الجانب أم ذاك، لا نزال بعيدين كثيرا عن النفوذ إلى كل

---

[8] **موريس أنجرس**: المرجع السابق، ص 60.

[9] نفس المرجع، ص 61.

[10] نفس المرجع، ص 61.

الأسرار. ذلك أن الكائن البشري يعطي معنى لأفعاله، وأن كل شخص هو ذات (أو هوية) أصلية وبالتالي مظهر من مظاهر تعقد الموضوع[11].

الأكثر من هذا، حتى وإن كان من الممكن أن يخضع الكائن البشري للقياس، فقياس أفعاله وتصرفاته ليس أمرا سهلا، كما هو الحال للكائن المادي في علوم الطبيعة. في هذه الحالة الأخيرة، فإنه من الممكن استعمال مجموعة من الأدوات التي لا تمدد المعاني فقط ولكنها تمدنا بقياسات دقيقة للظواهر الإنسانية المطلوب دراستها. أما في العلوم الإنسانية، فإذا كانت بعض الظواهر قابلة للقياس مثل حساب تكاليف المعيشة أو الأجوبة عن استقصاء أو استبار ما، فإن ظواهر أخرى مثل الهوية الوطنية أو العقد لا يمكن فهمها بالضرورة بواسطة قياسات كمية[12].

أيضا، إذا كانت العلوم الإنسانية تميل إلى التفسير، فإنها في كثير من الأحيان، لا تسمح بالدراسة الدقيقة للعليات أو المسببات. في حين أن الأمر في علوم الطبيعة، وبفضل التجربة، منتشر إلى حد كبير، ولهذا يمكننا إثارة ومراقبة الوضعيات التي تسمح لنا بدراسة الآثار التي تحدثها ظاهرة ما في ظاهرة أخرى. أما في العلوم الإنسانية فقد تتداخل عدة ظواهر، مما يجعل من الصعب، بل من المستحيل، مراقبة الظواهر التي تسمح بعزل السبب أو الأسباب. وإذا كان من الممكن إعفاء بعض العوامل المفسرة لظاهرة ما، فإنه من النادر أن يحدث ذلك بالنسبة إلى علاقة بين سبب ونتيجة.

في الأخير، فإن العلوم الإنسانية قد وضعت نموذجا أو نمطا لتحليل فهمي للظواهر يتم بواسطة الأخذ بعين الاعتبار للمعنى الذي تعطيه الكائنات البشرية لسلوكياتها ضمن مجموع التأويلات. أما في علوم الطبيعة فهذه المسألة غير مطروحة، لأن الموضوع (أو الكائن) لا ينتج معاني.

---

(11) نفس المرجع، ص 61.

(12) نفس المرجع، ص 61.

وللمقارنة وتوضيح خصوصيات الموضوع في العلوم الإنسانية وخصوصياته في علوم الطبيعة انظر الجدول الآتي:

الموضوع في العلوم الإنسانية وفي علوم الطبيعة[13]	
الموضوع في العلوم الإنسانية:	**الموضوع في علوم الطبيعة:**
1- له وعي بوجوده.	1- ليس له وعي بوجوده.
2- يعطي معنى لأفعاله.	2- لا يعطي معنى لأفعاله.
3- إنه من نفس طبيعة الملاحظ.	3- ليس من نفس طبيعة الملاحظ.
4- غير ممكن إعادة انتاجه.	4- يمكن إعادة إنتاجه.
5- معقد.	5- بسيط.
6- يقبل قياسه جزئيا.	6- يقبل القياس.
7- يقبل بالتحليل التفسيري.	7- يقبل بالسببية.
8- يقبل بالتحليل الفهمي.	8- لا يقبل بالتحليل الفهمي.
9- الكلمة تأخذ معاني متعددة.	9- الكلمة تذهب في اتجاه واحد.
10- تختار الكلمات لمعناها.	10- تختار الكلمات لدقتها.

ما عدا هذه الخصوصيات، توجد تشابهات بين مواضيع العلوم الإنسانية ومواضيع علوم الطبيعة. فالأرض، مثلا، قد عرفت تطورا، بالضبط كما عرف الكائن البشري تطورا تاريخيا سواء بشكل فردي أم جماعي.

فالموضوعان لهما إذا تاريخانية. هكذا، اعتقدنا، ومنذ زمن طويل، فإن دراسة الإنسان هي وحدها التي مازلت عرضة للتداخلات بين الملاحِظ والملاحَظ، فإننا نعرف الآن عن طريق نتائج بعض التجارب الفيزيائية حول الجزيئات أن حضور الباحث يؤثر في دراسة الظاهرة. يوجد إذن تفاعل بين الموضوع والباحث في كلتا الحالتين، وبالتالي ينبغي علينا دائما أن نعيد النظر ما أمكن في علاقاتنا بالموضوع وذلك لكي نتجنب الخلط في معرفتنا الموضوعية التي نسعى إليها.

[13] نفس المرجع، ص 61.

إن علوم الطبيعة، على الأقل فيما يتعلق بدراسة الأحياء، ولتكن الخلية، مثلا، لها موضوع يحظى ببعض الاستقلالية على غرار الكائن البشري. فالخلية يمكن أن تنمو، وأن تعيد إنتاجها. ومع ذلك فإن تعقدها قد تقلص كثيرا مقارنة بالخلية الإنسانية وخلية المجتمعات البشرية.

في الأخير فإن العلم قد فتح أمام مداركنا، آفاقا جديدة وجذابة، يهدف من ورائها إلى تعليمنا دائما شيئا جديدا، سواء حول الإنسان أم حول الطبيعة، هذا زيادة على كونه طريقة لفهم الواقع[14].

خلاصة:

لقد تطورت العلوم الإنسانية بعد علوم الطبيعة، والواقع أن موضوع دراستها (و هو الكائن البشري) يبين، بوضوح كبير، مدى درجة تعقد هذه العلوم خلال مسار تكونها، والصعوبة التي تواجه الباحث في حقلها. ولهذا لا يتعلق الأمر بتقليد العلوم الإنسانية لعلوم الطبيعية. بقدر ما يتعلق بعملها الدائم من أجل إظهار أصالتها. مع هذا، فإن نفس الحيرة والقلق مازالت ترافق الطريقة في العلوم الإنسانية.

في الأخير، إنه من الأهمية بمكان أن نعيد اليوم النظر في مكانة العلوم الإنسانية بوصفها حقلا لإنتاج الفكر والرموز واقتراح الحلول لمختلف التغييرات الاجتماعية، باعتبارها جوهر تشكيل وبناء الإنسان. "ويعود فشل استخدام العلوم الإنسانية (في العالم العربي) إلى عدم تأسيسها على مشروع وطني تكاملي وتوافقي فكرا ومنهجا وعقيدة ومحتوى ثقافيا[15]." ورغم أنه من نفس طبيعة موضوع دراسته، فإن الباحث في العلوم الإنسانية لا بد أن يعطى اهتماما خاصا لتجنب إغراءات الحس المشترك.

[14] CHALMERS Alain, **La fabrication de la science**, Paris, La Découverte, 1991, P 46.

[15] تصريح **الدكتور عمر أزراج** لجريدة الشروق اليومي الجزائرية الصادرة بتاريخ: 05 فيفري 2011، العدد 3195.